Journal Of the Iraqia University (73-2) July (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502

Journal Of the Iraqia University

available online at

https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

# الذاكرة في رواية أنفاس صُليحة لعمر فضل الله

م.د. عبود توفيق عبود جامعة ديالى / كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة

Memory in the novel Anfas Suleiha by Omar Fadlallah

Lect.Dr. abboud tawfiq abboud

University of Diyala-College of Physicaleducation and sport science

abboud.tawfiq@uodiyala.edu.iq: E-mail

## الملخص

يسعى الروائي إلى الرجوع بذاكرته إلى الماضي سواءً القريب منه أو البعد ، إذ يستحضره آنياً ليشكل عن طريقه عملاً روائياً يعتمد على خلق الذاكرة واستعادتها سردياً ، فعملية التذكر مستمرة عنده ؛ لأنه يربط الأحداث مع بعضها لينسج أحداثاً برؤية جديدة يعيشها متلقي الحاضر ، وتستشعرها الذات المتلقية التي استقبلتها من الذات السادرة لتلك الأحداث ، فتتفاعل محفزات الذاكرة وتلاقحها مع الموجودات المثيرة لها لتضفي عنصر التشويق والاندماج في الماضي والكشف عنه بوساطة الكتابة السردية .**الكلمات المفتاحية** : الذاكرة ، أنماط الذاكرة ، تمثلات الذاكرة ، الرواية .

## Abstract

The novelist seeks to return his memory to the past, whether near or far, as he conjures it immediately to form a work of fiction that depends on creating memory and restoring it narratively, as the process of remembering is continuous for him. Because it links events together to weave events with a new vision that the recipients of the present experience It is sensed by the receptive self that received it from the inducing self of those events, so the memory stimuli interact and cross-fertilize it with the exciting assets to add an element of suspense and integration into the past and its revelation through narrative writing.

**Opening words**: Memory, patterns of memory, representations of memory, the narrator .

## المقدمة :

إن انشغالات الكتابة واعتمادها على التحفيز الذهني حيناً والمكاني أو الموضوعي حيناً آخر شكل رؤية سردية لمرجعيات الروائي الذي يستعيد الماضي ليخلق منه عملاً فنياً ينسج عن طريقه كتاباته التي تتخذ من الذاكرة عاملاً مهماً في تداعياته من حيث المضمون الذي يشكل حدود التفاعل بين الذاكرة والذات الساردة المؤرشفة لعمل الذاكرة التي تعد مرجعية شفاهية أو تدويناً لمرحلة مثلت اسقاطات ذاتية لمرحلة غادرها الزمن لتستعيدها الذاكرة السردية بطرائق مختلفة ، ونتيجة للتفاعل بين السرد والذاكرة وارتكاز الذات على الاسترجاع أعطى للسرد التحفيز الموضوعي والنقل الآني لأحداث ماضية تستعاد بخطابات جديدة ورؤية عصرية .لذلك جاء البحث موسوماً بـ **((الذاكرة وتحولات الذات في رواية أنفاس صُليحة لعمر فضل الله))** ، إذ يخلق الروائي تعالقاً نصياً بين الذاكرة وسرديات التاريخ واستنطاقه عن طريق الولوج إلى التاريخ الذاتي لشخصيات الرواية ، فتقسم البحث إلى ثلاثة محاور أولها عُني بالإطار النظري للبحث وشمل توضيح مفهوم الذاكرة ، واعطاء رؤية موضوعية عن الرواية ، في حين جاء المحور الثاني موسوماً بـ **(الذاكرة وأنماطها في رواية أنفاس صُليحة )** الذي حدد أنماط الذاكرة في الرواية وتوزعت على الذاكرة الفردية ، والجمعية ، والتاريخية ، والتواصلية ، في حين شمل المحور الثالث **( تمثلات الذاكرة في رواية أنفاس صُليحة)** وانقسم إلى ثلاث فقرات أولها الذاكرة والعنوان ، وثانيها الذاكرة والفقد ، وثالثها الذاكرة والجسد ، ومن ثم خاتمة البحث وقائمة بالمصادر والمراجع وقد سار البحث على المنهج التحليلي الوصفي الذي أفادت منه الدراسة في تحليل النص والكشف عن المكونات السردية التي هيأت له بيان محفزات الذاكرة وأنواعها وأثرها في تشكيل ذاكرة الذات

**المحور الأول : الاطار النظري :**

**أولاً : الذاكرة** :يعد مفهوم الذاكرة من المفاهيم متعددة الاتجاهات والرؤى على وفق الدراسات المنتمية إليها سواء أكانت نفسية ، أم اجتماعية ، أم فلسفية ، فهي متشعبة الأصول ومتعددة التوجهات ، في حين تدخل في اتجاه الأدب من أنها تسهم في استحضار المبدع ذاكرته التي تسعفه في تشكيل نصوصه الإبداعية ، فهي " معرفة حالة سابقة للعقل بعد أن تزول من الوعي فعلياً ، أو بالأحرى هي معرفة حدث ، أو حقيقة لم نكن نفكر

بها في الوقت الواقع بين وقوعها وتذكرها مع الوعي المضاف ، بأننا قد فكرنا بها من قبل " **( ورنوك ،٢٠٠٧، ٩٦-٩٧)** ، وتشكل خزيناً للمعلومات والتجارب التي تسعف الفرد في استدعائها في اللحظة الراهنة ، فتمثل " قدرة النفس على الاحتفاظ بالتجارب والمعلومات السابقة في الذهن واستعادتها " **(عمر، ٢٠٠٨، مج١/٨١٥)**، والأدب ينتمي إلى الذاكرة ، لأنه تسجيل للأعمال التذكارية وعملية تخزين النصوص التي انتجتها الثقافة ، لذلك تشكل الكتابة مساحة للذاكرة ، ولاسيما في تداخل النصوص والأخذ من نص آخر ، هي عملية استعادة الكاتب لذاكرته واستمرار ثقافته **(نوادرية، ٢٠١٧، ٤٥٦)** ، وتعد الذاكرة مكوناً مركزياً لعملية الإنتاج الأدبي الذي يتألف من " الحس أولاً ، والتخيل ثانياً ، والذاكرة ثالثاً كما يتداخل عمل هذه القوة فيما بينها ويتواصل في إطار ذهني تستغل فيه الذاكرة الحيز الأوسع والأكثر حضوراً ونشاطاً وفعالية من خلال تحريض آليتي الحس والتخيل ودفعها إلى الاستجابة لها بدلالة شكل استدعائها واستحضارها في لحظة الخلق والإبداع " **( الحياني ، ٢٠٠٦، ١٣)**، فعملية الإنتاج الأدبي عملية تذكرية تسهم تداعياتها في خلق النص الأدبي الذي يتشكل عن طريق استدعاء التجارب الماضية ، والمواقف الآنية ، وبثها في النص لتكون نقلاً لخبرات ماضية وتذكرها ومن ثم اضفاء التصوير والخيال عليها لتخرج من واقعيتها إلى سماء الأدب وفنية عرضه ، ويسعى السارد إلى أن "يملأ فراغ التلقي بطرح منتج ذاكرته بوصفه منتجاً معاصراً مفعلاً عصرية التلقي ، فالمتلقي حين يتابع سردية الكاتب ينتقل إلى زمن ماض يراه بعيون عصرية ، ويرى الكاتب سارداً منفرداً بمعرفة المكان وما يضمه من بشر وأحداث وتفاصيل تعمل على بث قدر كبير من التشويق " (الضبع ، ٢٠٢٣، ١٣٣)وغالباً ما تمثل الذاكرة الماضي بما فيه من ذكريات سعيدة أو حزينة ، عن طريق الانتباه والإدراك لتعمل على حفظ وظائفها وتخزينها في الذهن (الحياني ، ٢٠٠٦، ١٢٣)، واضفاء الجوانب الإيحائية عليها ، لذلك تشغيل الذاكرة يحدث بوساطة الاستدعاء للموجودات ، أو الانفعالات ، أو المشاعر التي تحرك وظائف الذاكرة وتستعيدها في اللحظة الآنية لتسجل أحداثها وتوثقها مع اضفاء التخيل واعادة طرحها بآليات مختلفة عن واقعيتها في الماضي ، وإنما تتشكل بفضل عبقرية الكاتب الذي يسهم في استعادتها بوسائله الفنية وطرائقه الأسلوبية التي تجعل المتلقي يتفاعل معها ويستشعر زمنها وأحداثها ، لأن الكتابة عملية " تفعيل لذاكرتين قديمة راسخة بمكوناتها ، وجديدة يشحنها الكاتب لفعل راهن قبل أن تأخذ طريقها للذاكرة الأولى ، والذاكرتان تلتقيان في الكتابة حيث كل كتابة هي نقطة التقاء بين الذاكرتين " (الضبع ، ٢٠٢٣، ١٢٤)، وعن طريق مرجعية الذاكرة يتمكن الكاتب من استحضار الزمان والمكان واضفاء التعالق الفني والأسلوبي على نصه المنتج ليوافق الحاضر ويسترجع الماضي برؤية فنية معاصرة ؛ لأن الذاكرة هي " تراكم فكري وذهني لمسيرة السارد ، أو الشخصية انطلاقاً من بنية حياتية واجتماعية ونفسية وسياسية ليس المقصود منها تلك التمثلات المؤرخة في لحظة معينة من التاريخ بل هي منطقة وسط بين الماضي والتاريخ بمعنى إنها ليست محطات وقوف لتفاصيل زمنية مضت ، ولا هي تهويل لمكونات قدسية مؤثرة في حياة المجتمعات الحاضنة للشخصيات ، فالذاكرة بنية لكل تداعيات ماضي الشخصية ، والأنظمة الاجتماعية ، والسياسية " ( الخليل ، ٢٠١٧)

**ثانياً : ملخص الرواية** يعتمد الروائي عمر فضل الله على التاريخ في بناء عالمه الروائي ، إذ يتناول تاريخ مملكة علوة وعاصمتها سُوبا من حياتها السياسية والاجتماعية والدينية ، إلا إن التخيل التاريخي يدخل إلى عالمه الروائي عن طريق البناء الفني المتقن الذي شكل به الشخصيات ونوع في الزمان ، وقابل بين الأمكنة ، واتخذ من تعدد الرواة وغرائبيتها واتكائه على تقانة الحلم عاملاً مهماً في اضفاء التخيل وبناء الرواية ، فعن طريق الشخصية الرئيسة صُليحة يستعرض التاريخ ويربط الأحداث ويصفها بفعل التنوع السردي والوصف وتعدد الشخصيات ، فالعالم السردي لصُليحة أسهم في استنطاق التاريخ وأرشفته ، وبيان التكوين الاجتماعي في السودان ، والتحولات فيه وأثر ذلك على مجريات أحداث العصر الحاضر ، فأنشأ تاريخاً موازياً داخل الرواية شكله الروائي ليستنطق التاريخ ويبحث عن ثغراته التي تكمل الحقيقي وتنسج قصصه عن طريق البحث في تاريخ الشخصيات والوطن وبيان رؤية تشكيل هويته التي نشأت بفعل التقلبات السياسية والدينية فيها .

## المحور الثاني : الذاكرة وأنماطها في رواية أنفاس صُليحة :

تعددت أشكال الذاكرة على وفق تعلقها بالذات والمجموعة ، إذ تسهم في استعادة الماضي الذي ينتمي إليه الفرد أو المجتمع من هنا جاءت أنواع الذاكرة على وفق الحالات الشعورية المنتمية لفئة معينة .

**أولاً : الذاكرة الفردية :** يشمل هذا النوع " المعلومات المتعلقة بالذات، فهي تتضمن الذكريات، أو الأحداث الشخصية الفريدة فهذه الذاكرة تتضمن الذكريات أو الأحداث الشخصية الفريدة والمتميزة، الخاصة بالشخص نفسه، والتي عاشها في مرحلة ما من حياته، وأصبحت في تاريخه الشخصي، والمرتبطة بذات الشخص ومخططاته الذاتية" ( عبد الله ، ٢٠٠٣، ٩١) ، فهي تمثل كل ما هو ذاتي شخصي معاش من الفرد نفسه ومعبراً عن تجاربه وأحداثه التي حدثت له في الماضي الذي يعطي للذاكرة استمراريتها ويسهم في تواصليتها من غير قطيعة ولاسيما أحداث الطفولة **( ريكو ، ٢٠٠٩، ١٥٦)** ، والسيرة الذاتية التي مرت الشخصيات بها وعاشت تجاربها ( بو عزة ، ٢٠٢٢، ٤٦٣)تكثر الذكريات الفردية لشخصيات

الرواية ، إذ سرد الراوي فيها حياة الشخصيات ، ولاسيما حياة صُليحة منذ أن عاشت في المغرب ولحقت بجدها في أثناء خروجه إلى الحج ، ومن ثم تنقلاتها في تيمبكتو ، وسُوبا ، وتزوجها في البادية من عبد السميع ، فضلاً عن ذكريات طفولتها ، وموت والداها بالوباء ، ورحلتها في البحث عن جدها ، وما لاقته من صعاب ومخاطر في أثناء تلك الحياة " **كنت يتيمة ووحيدة في مدينة لم تعرف السكينة إليها درباً ، ولا الأمن طريقاً ، شهدت آخر أيامها ، وحضرت نهايتها وانهيارها ، ووقفت على خاتمة دولتها التي دالت وسقطت سقوط النسر العجوز** " ( فضل الله ،٢٠١٩، ١٦) ، يلخص الراوي السيرة الذاتية لشخصية صُليحة ، وتداخلها مع الأمكنة ، والتاريخ وأحداثه التي شكل ذاكرة مستقرة في الذات ، ومواكبة لمصيرها ، إذ شكل الماضي بؤرة الاستدعاء وأثره في تكوين شخصيتها ، وعُدّ المكان الحاضنة المثقلة بالذكريات التي صاحبت الذات ونقلتها من حالٍ لآخر على وفق المعطيات المادية التي حفرت ذاكرتها وتعلقت بها ، فالذاكرة الطويلة مكنتها من استلهام الوجود والبقاء في الصراع بين الرجوع والاستمرار للوصول للهدف والحرص عليه ومن ثم الظفر به ، وهنا نلحظ تشبث الذات بالمدركات المادية والحسية التي حققت عن طريقها فاعلية الذاكرة وحافظت على تدفقها وتسرد فقدها لوالديها وحكاية الحج وقوافله هي بداية قصتها وبحثها عن جدها الذي رعاها وعوضها عن فقدها لهم " **منذ أن توفيا في عام الوباء الذي يشبه الطاعون ، والذي تنتج عنه البثور والدمامل والحمَّى ، ثم العمى أو الموت السريع ، وذلك حين كنت صغيرة يافعة ، ولكنك تذكرين بعض التفاصيل يوم جاء جدّك الحاج فأخذك منهما لما تبين أنهما أصيبا بذلك المرض مثل كثيرين في القرية ، ثم قالوا لك أنهما سافرا بعيداً ، ... وبقيت تخرجين كل يوم إلى أطراف القرية تنتظرين عودة أبيك وأمك من ذلك السفر الذي قالوا لك عنه ، وترقبين مجيء القوافل التي كانت تذهب لكنها لا تعود ، ثم أخبرك يوماً أنهما لن يعودا من السفر ، وأنه أصبح هو أباك وأمك بدلاً عنهما** " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ٤٣) ، مثل الاسترجاع الذاتي للشخصية تحفيزاً لذاكرتها الفردية في مرحلة الطفولة التي علقت في بواطن الذاكرة لتوسمها باستمرارية الفقد والانتظار الذي جعلها مستمرة البحث عن الملاذ الذي تستند إليه في حياتها ، لذلك مثلت مرحلة الطفولة في شخصية صُليحة التأسيس الذاتي لشخصيتها ، والواقع المعرفي وذروة الوجود الذي شكل ذاتها وتعلق ذاكرتها بالأحداث المعيشة واجترار ذكرياتها يمثل نوعاً من التوثيق للماضي وشحذ ذاكرة الحاضر بها، واستعادة الماضي لأخذ العبرة منه وتعلم الذات مواطن قوتها لتجنب تكرار الماضي وتحسين الحاضر ، وتجربتها الخاصة مكنها من رؤية العالم لحياتها وشمول الأخرين برؤية الحقيقة التي كُتبت عن طريق سيرتها الذاتية حياة الوطن ومجرياته التاريخية ( ورنوك ، ٢٠٠٧، ٦) ، فالشخصية باحثة عن الذات والآخر تتعلق بالماضي لتستعيد الحاضر الذي تلاحقه المأسي وتتولد منه المشكلات ، فالروائي استحضر الذات ليعمق من قوة الشخصية الروائية التي صقلتها التجارب وحفتها المخاطر التي أدت إلى خلق ذات قوية على الرغم من تأزمها إلا أنها تتفاعل مع الواقع وتستعيد الماضي لتجدد ذاتها وتجد الحلول لمشكلاتها ، واسهمت ذاكرتها في التخزين والانتقاء والاختيار لمجريات الأحداث التي فاضلت ( الضبع ، ٢٠٢٣، ١٣١) بعضها عن بعض لرغبتها في الاستدعاء والتشويق وذكريات كل من دُوانة وأُونتي تحملان الألم والانتقام ، إذ عبرا عن ذكريات مؤلمة ، وأحداث متأزمة تعرضا لها في أثناء حياتهما ودورهما في خراب مدينة سُوبا " **هناك في مكان بعيد إلى الشرق عند تلك الساقية المهجورة ساقية الشيطان ... أرى الفتاة "أُونتي" التي هي في مثل سنك يا صليحة ، تسترجع ذكريات طفولتها القديمة حين كانت في سُوبا عاصمة دولة علوة قبل عشرة أعوام أو تزيد كانت الطفلة البريئة أُونتي تختبيء مع أمها في إحدى غرفات قصر أبيها الأمير أُوندي ، إنها تذكر جيداً كيف أيقظتها أمها في منتصف الليل واضعة يدها على فمها لتمنعها من الكلام** " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ٥٧-٥٨) ، تعد شخصية أونتي مثالاً للطفولة الجريحة ، والحياة المأزومة التي تنشأ نوعاً من الغربة النفسية في ظل التراكم الشعوري للذات بفعل هول الأحداث المتأزمة التي لحقت بها وقد أثرت أحداث الطفولة فيها كثيراً وأسهمت في تشكيل ذاتها ؛ لأنها " المرحلة الحاسمة في مصير الإنسان وأنها البؤرة الأولى التي ينهل منها طيلة حياته" ( شحيد ، ٢٠١١، ١٢٩) ، فالمشهد وقسوته علق في ذاكرة الشخصية منذ طفولتها ومثل جرحاً لها لا يمكن تغافله أو تناسيه ، فأصبحت الموجودات حية بفعل الذاكرة البصرية ( يونويل ، ١٩٨٦، ١٧٥) التي حققت الاحتفاظ بالمشهد وأثره في نفسية الذات ، لذلك حقق السرد عن طريق الراوي العليم مفارقة تستعيد رؤية الذات للماضي ليواكب الحاضر وينتصر له ، لتحقيق الرغبة وتفعيل الخلاص من خروقات الذاكرة التي أنبتت الجذور وأنشأت الترويض على تحقيق هدف الانتقام ، فمتعلقات الطفولة ركزت في ذهن الذات قتامة الماضي وسبل لملمة مأساته لتتحقق الراحة للذات شكلت الذاكرة الفردية جزءاً من الذاكرة الجمعية التي تنفصل عنها في أنها تخص الفرد وتتعلق به على الرغم من تمثلها للجماعة في حيز كبير منها " فالذاكرة الجمعيّة تغلف الذواكر الفرديّة من دون أن تختلط بها ، هي تتطور وفق قوانينها الخاصّة ، ... فلكي يستذكر المرء ماضيه الخاص هو بحاجة إلى ذكريات الآخرين ، يرجع إلى نقاط علّام خارجية عنه ومثبتّة في المجتمع " ( هالبواش ، ٢٠١٦ ، ٧٣) ، إلا إن الذات تنتزع الفردية عن طريق الشعور بالفرادة والخصوصية التي تؤثر في مسيرتها ، وتخلق تواشجاً معها يؤمن لها الشعور بالذات والتعبير عنه .

**ثانياً : الذاكرة الجمعية** : يسهم هذا النوع من الذاكرة في تحقيق التداعي الجمعي لشعب ما ، أو فئة معينة التي تحركها الميول المكتسبة من خبرات الجماعة نفسها ؛ لأن هذا النوع من الذاكرة يشكل الهوية ويصقلها ، وتنتمي إليه ذاكرة الفرد المؤسسة للذاكرة الجماعية فلكل " فرد ذاكرتان ذاكرة فردية تعكس شخصية ذلك الفرد ، وهي طاقة قد تكون بصرية ، أو سمعية ، أو شمية ، أو ذوقية ... وعنده أيضاً ذاكرة جمعية تربط الفرد بمحيطه والمجتمع الذي عاش فيه وتفاعل معه ، فالفرد مهما حاول عزل نفسه عن الجماعة يبقى جزءاً منها " ( شحيد ، ٢٠١١، ١٢٧) ، فتتشكل الذاكرة من تضافر الفرد مع الجماعة ليؤسس ذاكرة تعنى بالمجتمع والانتماء وتحقيق الشراكة بينهما ، وتستمد الذاكرة الجمعية قوتها من " الأشخاص فهؤلاء الأشخاص هم أفراد في نهاية المطاف ، يتذكرون كأفراد في جماعة ، من كتلة الذكريات المشتركة تلك ، التي ترتكز واحدتها على الأخرى ، ... فكل ذاكرة فرديّة هي وجهة نظر تطل على الذاكرة الجمعيّة "(هالبواش ، ٢٠١٦ ، ٦٨-٦٩)وتتأسس الذاكرة الجمعية في رواية أنفاس صُليحة من الشعور الجمعي الذي ولده شعب سُوبا عن طريق العادات والتقاليد ، ونسج الأساطير التي شاعت بين الناس وكونت الثقافة الشعبية لهم ، لذلك ترتبط الذاكرة الجمعية بالمجتمع عن طريق أفراده وتقبلهم لها ، فضلاً عن تمثلها في تشكيل الذاكرة التفاعلية التي تتكون بفعل الأحداث التي تعاقبت فجزء كبير منها يعتمد على الذاكرة التاريخية التي حفرت في المجتمع التراكمات والأزمات التي شكلت تلك الذاكرة .ونلحظ حضور الذاكرة الجمعية في الرواية عن طريق قراءة التكوين المجتمعي لشعب سُوبا فقال الراوي : " مجتمع سُوبا أصبح مجتمعاً هجيناً من العرب والنوبة وغيرهم ، العادات والتقاليد أصبحت شديدة التباين ، والاضطراب ، لكن الجميع يحترم الجميع ما عدا التوترات التي تظهر بين الفينة والفينة من عصابات مندو وأُرصُد أو مجموعات كُرشاب " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ١٧٣) ، ينقل الراوي صورة المجتمع في مملكة علوة التي تنوعت فيها الأعراق ، فحقق ذلك ذاكرة جمعية عمت الشعور الجمعي لهم ، فالتداخل الثقافي عَرّف الأنا بالآخر وحدد وسائل اختلافاته عنه ، ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم الذي هيأ للتعايش بين الفئات جميعها ، وهذا أعطى توقعات ثابتة للمتلقي الذي فهم التباين وتأقلم مع الاختلاف في الطبائع الذي نبهه إلى أن التعدد يمثل شعوراً جمعياً يؤمن به الأنا لفهم الذات والآخر معاً، وقد ارتبطت الذاكرة بالمكان والمادة ( شحيد ، ٢٠١١ ، ١٤٧) ؛ لأنها تحقق الاسترجاع لها عن طريق رؤية الذات للشواخص التي حملت الذكريات وتعلق بها الذهن ونتيجة لاضطراب الأوضاع في سُوبا فقد كانت سمة الحذر والخوف متلازمتان عند شعبها لذلك يشرح الراوي ويصف ذلك في قوله : " أن هذه المدينة حذرة ومتوترة أكثر من أي مدينة أخرى مررت بها وأنت في طريقك إلى هنا ، الناس هنا حين يسيرون يتلفتون في الطرقات ، ينظرون للمارة ، ويراقبون كل حركة ، ويتأهبون عند سماع أي صوت ، تشد انتباههم التجمعات ، ويسترعي أنظارهم الغرباء ، أصبحوا ينظرون للقوافل نظرة التوجس ، يظنون كل قافلة قادمة غارة مسلحة هاجمة عليهم ، فالعرب الذين تم طردهم من سُوبا وبيعت نساؤهم رقيقاً لن ينسوا ثاراتهم أبدا وأهل سُوبا يعلمون هذا جيداً " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ١٨٧) ، اضطراب الأحوال السياسية مهد إلى نشوء شعور جمعي يشير إلى الحذر والخوف من أي طارئ خارجي يدخل المكان ، والتأهب له شكل هاجساً يتناقله المجتمع ليدرأ المتوقع ويبعد الأزمات عنهم ، فالذاكرة الجمعية أوضحت أن الشعور بالخوف ناتج عن التأزم في ظل الاضطرابات التي تحققت في مملكة علوة وكثرة المؤامرات والدسائس التي انهكت السلطة واسهمت في ظهور الثغرات فيها لينشأ التأزم الذي انعكست نتائجه على الفرد والجماعة ، وهذا ما أفاد السرد في خلق حبكة درامية تشد الأحداث وتسير بها بمتواليات حقيقية وقعت في الواقع إلا أن طريقة سردها وتشكيلها مختلف عنه ، لذلك تناول السرد التاريخ بفنية تسهم في ربط مكونات السرد وتشويق المتلقي لها ونتيجة للأحداث التي عصفت بمدينة سُوبا ومقتل الأمير أُونتي وتبعثر الملك فيها ، شكل ذلك ذاكرة استرجعها الناس في ظل تفاقم الأزمات التي تحدث فيها ، واختفاء الأميرة دوانة وابنتها حتى ظن الناس أنها اسطورة " نسج الناس حولها الحكايات والأساطير ، لأن قصتها هي أشبه بالأساطير ، رغم أن مأساتها حقيقية وقصتها واقعية لا خيال فيها ، والناس دائماً يميلون لتأليف الأقاصيص والحكايات حينما لا تتوفر الحقيقة ، فطالما تناقل أهل سُوبا الأساطير القديمة حول الساحرة "سيمُونة" التي عاشت في الزمان القديم أيام النجاشي العظيم "الأبجر" وابنه "أصحمة" منذ خمسمائة عام من زمانك هذا أو تزيد ، فنسبوا إليها كل عجيب ، ومثلما أن "سيمُونة" تم طردها من أسوار المدينة لتعيش هناك في حي السحرة داخل "جزيرة التمساح" في الشمال الغربي من سُوبا ، فإن "دُوَانَة" لجأت إلى منحنى النيل في منطقة" شِبِيش" إلى الجنوب الشرقي من " بُترِي الشرقية" ، كانت تقيم عند تلك الساقية المهجورة التي يهابها النّاس ويخشون الاقتراب منها ويعتقدون أنَّها مأوى العفاريت ، وأن بها غولاً شيطاناً قبيح الخلقة عظيم الهامة ضخم الأنف ، يسكن في تلك الجروف شديدة الانحدار التي تحيط بها أشجار الصفصاف " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ١٧-١٨) ، تمثل الأساطير ذاكرة جمعية مستقرة في ذهن المجتمع الذي يؤمن بها على الرغم من معرفته بإحاطة الخيال والخرافة فيها ، إلا أنها تشكل ذاكرة متوقدة مستمرة ومتوارثة بين الأجيال وتحقق مصداقيتها عن طريق الاخبار بها وبطرائق غيبياتها التي تتعلق بالنفس وتثير في الذاكرة التحفيز على القناعة بها ، وتحوي الأسطورة على تاريخ يُسجل بطريقة خاصة ، بل هو تاريخ ضمن أنساق إدراكية أخرى انتجتها الذاكرة الإنسانية ضمن بُنى مختلفة ، وخلعت عليها رداء الأسطورة وجعلت فيها أسطورة مؤرخة للتاريخ الحقيقي " ( شعلان

، ٢٠٠٦، ٣٥) ، لذلك يقابل الروائي بين اسطورتين تمتلكان ذات القصة والحيثيات التي شكلتها الذاكرة وهي اسطورة سيمون ودوانة فينتج تقابلاً سردياً يمهد عن طريقه إلى المتلقي طبيعة المجتمع وأسسه التي نشأ عليها ، وتكرار الأساطير وتجديدها يثير الانشغال ويولد الشعور الذاتي بالخوف وانتظار النتائج التي لا تتحقق إلا بمرور الأزمنة واحداث تغيرات سياسية حيناً واجتماعية حيناً آخرى لفهم معطيات المعتقدات الراسخة في ذهن المجموعة ،وذلك لأن الذاكرة الجمعية " لا تحتفظ من الماضي إلا بما هو حي أو قادر على العيش في وعي المجموعة التي ترعاه " (جادور ، ٢٠٠٦، ٣٨) فحققت الأسطورة عن طريق السرد التحولات السردية المنتجة لفك الحبكة وانتاج خلاصة للتاريخ ، والافادة منها في تلاقح السرد مع الوقائع التي ربطت الأحداث واسهمت في رفع مستوى التشويق للمتلقي اسهمت الذاكرة الجمعية في قراءة الماضي الذي تعلقت به الشخصيات واعادة صياغته بطريقتها ، ومن وجهة نظرها فـ" للذكريات طريقتين في الانتظام ، وأنها تستطيع تارة التجمع حول شخص محدد ، يتصورها من وجهة نظره ، وتارة تتوزع ضمن مجتمع كَبُرَ أو صغر وتكون صوراً جزئية ضمنه " ( هالبواش ، ٢٠١٦ ، ٧٣)

**ثالثاً : الذاكرة التاريخية :** إن اعتماد التخيل التاريخي على الأحداث الحقيقية المتناقلة سواء أكانت شفاهية أم مدونة هو نوع من الذاكرة الجمعية التي ترسخت في ذهن الشعوب ، فيعد جانباً من جوانب ذاكرتها المؤرشفة ، فالذكرى هي " إعادة بناء الماضي بمساعدة معطيات مُستعارة من الحاضر ، ومعطيات أخرى تهيّأت في حقب سابقة ، وخرجت منها الصورة مغايرة لأصلها" (هالبواش ، ٢٠١٦، ٨٩-٩٠) ، وبما أن رواية أنفاس صُليحة تعتمد على حكي الماضي والرجوع إليه تقانة توثق الأحداث التاريخية في السودان وأجزاء من الجانب الأفريقي ، ويروي قصة تكوين مجتمعاتها وزوال دولها ونشوء بعضها ، لذلك سُردت تلك الأحداث عن طريق قص حكاية صُليحة التي تخللها الولوج إلى التاريخ وذاكرته فيها ، إذ مثلت الرواية مرجعية الحقيقي الذي حقق القيمة النفعية والمرجعية المتخيلة التي أعطت قيمة جمالية ( الشمالي ، ٢٠٠٦،١٢٤ ) لتواشج بينهما وتسهم في تفعيل الذاكرة وتحفيزها . فالراوي يكشف عن طريق سرد قصة جدته بعضاً من أحداث وقعت في زمن قديم " ها أنت تشهدين غروب شمس سُوبا بأم عينيك بعد ما كان أهلها يقصون عليك من قبل أساطير البدايات ، ويقرأون في ساحة المدينة كل ليلة أخبار الحروب القديمة ، وصمود أسوار سُوبا في وجه الغزاة في جميع الأزمنة الماضية ، يقرأونها في فخر ، يتغنى بها الفتيان وترقص الفتيات في دلال ، ... لقد أخبروك ... أنه عند الخراب الأول جاء "حُميدان" بجيوشه من الغرب ومعه أمراء "قحطان" فحاربوا "العنج" و"النوبة" أياماً ، وقتلوا الملك "عفايق" ومن معه ، ... أخبروك أن القادمين في تلك المرة الأولى احترموا الكنائس الأربعمائة المنتشرة في دولة "علوة" فلم يتعرضوا لها بأذى ... رغم أنهم كانوا يعلمون أنه من بين سُرادقاتها خرجت المصائب والمؤامرات والفتن "( فضل الله ، ٢٠١٩، ١٢-١٣)، يسترجع الراوي الذاكرة التاريخية للمدينة التي يصف عن طريقها الحروب التي تعرضت لها ، وسيطرتها على ذاكرة الفرد والمجتمع عن طريق الاخبار ، فيشير الراوي إلى تناقل الأخبار وحفظ الذاكرة لها وقصها عليهم ليمثل أرشيفاً شفاهياً يمثل الأمجاد والانتكاسات التي حفت المدينة ، لذك يعد الرجوع للتاريخ عاملاً سردياً في ربط الأحداث ، وثيمة أكد عليها السرد في توثيق التاريخ للمدينة ، وشرحه لبيان أثاره المستقبلية الذي نقلها من حالٍ لآخر بفعل المؤثرات الخارجية والداخلية التي أصابتها ، إلا إن السرد يضمن تلك الأحداث ليحقق الراوي الصدق في الحدث ، واقناع المتلقي به ، وتوثيق التاريخ بفنية سردية تكون قريبة منه ، مما يحفزه إلى التلقي والشغف بقراءة الماضي الذي يمثل الانتماء والسؤال الذي غالباً ما يبحث عنه في الأسباب التي جعلت المدينة أو بلد معين ينتقل من مرحلة التألق إلى التلاشي ، ومن ثم تمكين السرد من الخوض في المرويات واضفاء الخيال عليها لينتج فناً موازياً للماضي يستلهمه ويفاد منه في تعدد المضمون واعادة صياغته وتؤرخ الرواية لحملة الغزو التي تعرضت لها سُوبا على يد القبائل العربية التي انهت ذكر المدينة وأسست على أنقاضها مدينة أخرى " القرين ليس هو الرجل الذي تسد أمامه السبل فسرعان ما أخذ طائفة من رجاله وأهله وذهب إلى جبال "البُرُون" ليجتمع بالملك "عمارة دُونقس" ولد الملك "عدلان" وضمن له الملك عموم البلد ، واتفقا على إنشاء دولة واحدة قوية تقوم على أنقاض سُوبا وتعاهدا على أن يكون المُلك لعمارة وقومه الفونج ، بينما تكون جباية الأموال وقيادة الجيوش والخيل من نصيب القواسمة" ( فضل الله ، ٢٠١٩، ١٧١-١٧٢) ، في هذه المتوالية السردية يختصر الراوي الحدث والزمن ، إذ يوثق للحظة الحاسمة التي أنهت مدينة سُوبا ومملكة علوة في التحالف الذي جمع فئات المجتمع من عرب وفونج وغيرهم لإنهاء المملكة ودمارها ، وقد استعان الروائي بالشخصيات التاريخية التي حققت ذلك التحالف ضد سُوبا فكان نقل الحدث واقعياً إلا إن فنية الروائي في طريقة عرضه له أسهم في إعطاء الواقعة تماثلاً فنياً بين الواقع والسرد ، إذ إن نقل الحدث التاريخي يعتمد على الوقائع الموثقة التي حفظتها الذاكرة في حين تمكن السرد من اعادة صياغتها عن طريق الاتكاء على الحدث نفسه لكن بطريقة تضفي جماليات أسلوبية في تلخيص الزمن ، والاعتماد على الوصف التفصيلي له ، وأخذ الحدث المهم الذي يحقق للرواية التماسك الموضوعي لها ، فهذا الحدث نقلها من الرواية التاريخية المؤرشفة للتاريخ إلى المتخيل التاريخي المعتمد على التخيل المتكأ على التاريخ ووقائعه ، وجعل التصاعد في الحبكة ونشوء الصراع المكاني والمجتمعي عاملاً

في تصاعد الأحداث والتشويق الذي ينتظره المتلقي ونتيجة لخراب سُوبا وهجرة أهلها لها أسهم ذلك في تغير ملامح السكان فيها فيرى الراوي الحفيد ذلك فقال : " **فرأيت** أن المنطقة أصبحت خالية والناس هجروها فتوجهوا جنوباً ، والعشائر بدأت تنحاز إلى قبائلها "المحس" البُدانات " و" أولاد جامع" من الذين كانوا في "شُو حَطت" إلى الشمال نزحوا جنوباً واستقروا في "بُترِي" الشرقية ، والناس كانوا خائفين من السكن في سُوبا فكانوا يتجنبونها ويظنون أنها مساكن الجن فيتجاوزونها جنوباً ، ومعظم "العنج" و"الهمج" الذين كانوا في سُوبا حين خرجوا منها نزحوا جنوباً حتى وصلوا منطقة اسمها "رُوصيرص" فاستقروا هناك وأسسوا قرية اسمها سُوبا" ( فضل الله ، ٢٠١٩، ١٨٥) ، ينقل الراوي التغيرات الاجتماعية للمدينة ، أثر الصراعات عليهم ، فكانت ذاكرة تؤرخ للتغيرات الديمغرافية فيها ، وتروي المصير الذي لحق بهم ، وهذا أسهم في تيقظ الذاكرة وشحذها بفعل التحديدات التي رواها السرد ولخص التنقلات المكانية الذي هدف إلى الاجابة على السؤال ما سبب التنوع العرقي في السودان والخليط الذي يراه المتلقي في هذا العصر الحاضر؟ ، فهذه الهجرات والصراعات السياسية كانت عاملاً مباشراً في التوزيع السكاني لهم ، لذلك استقى الراوي مشاهدات الشخصيات للوقائع المُعاشة أي التاريخ المُعاش وليس التاريخ المدون ، فالوقائع والأحداث تمثل سرديات عامة إلا أن اعادة روايتها على وفق شهادات عاشها الأفراد يمثل وجهات نظر مختلفة على وفق رؤية الراوي ( هالبواش ، ٢٠١٦، ٧٩) ، فالذاكرة التاريخية وثقت ذلك وشكلت التفاعل بين الماضي والحاضر ومحاولتها شرح الأسباب وتفسيرهاوتشكل الذاكرة الفردية جزءاً من ذاكرة تاريخية تروي أحداثاً تتعلق بمصير مملكة سُوبا وتحولاتها فيقول الراوي الحفيد " وتسيرين في طرقات سُوبا لتتعرفي عليها ، وتتجولين في أسواقها فتفاجئين بأنها خليط من الألوان والأجناس والأنفس والقبائل ، ... ويخبروك أن علوة ظلت في الزمان القديم تتمدد وتنتشر مثل السحاب فوق أرض البُطانة فيسري سلطانها شرقاً ليحكم شعب "مرنكا" في أعالي علوة إلى الشرق ثم يمتد إلى "المكادة" و"أكسوم" و"تفلين" وحتى "البجاة" الذين عند ساحل البحر ، وينساب غرباً ليحكم قبائل "الحَمر" و"الفنكور" و"الداجو" و"كاتول"، وسحرة "الكرنينا" الذين ينتشرون بين البحرين الأخضر والأبيض ... لكنها في آخر الأمر تعرضت لإغارات مملكة "زغاوة" ... علوة أصبحت هدفاً للغارات ، فهي محاصرة بين ممالك طامعة وقبائل مهاجرة ، تقاتل من أجل الأرض ، وترغب في الاستحواذ على الثروات" ،( فضل الله ، ٢٠١٩، ١٢٦) عن طريق الشخصية صُليحة التي تحاول الولوج إلى الحقائق وتحصيل المعرفة تمكن السرد من نقل الحدث واضفاء التخيل عليه ، فيكشف الراوي عن الذاكرة التي روت الأحداث ، وجددت الوجود الفعلي للملكة علوة ، فيؤرشف السرد لحدودها ويتمكن من بيان طبائع شعبها ، ليوضح الترابط الاجتماعي بين شعوب المنطقة والتقارب فيما بينهم مثلت الذاكرة التاريخية رؤية للذات والمجتمع ، إذ عن طريقها تمكن الرواي من وضع نهايات الشخصيات ، وادماج الأحداث ، والتقاط المفيد منها ليستطيع من شحذ الذاكرة الجمعية وتحقيق التفاعل فيها ، والاسهام في التعالق بين التاريخ والسرد الذي اعتمدا على الذاكرة في توثيق الأحداث ، واتخاذ الذاكرة مرجعية معرفية عامة وخاصة وذات طبيعة عاطفية تتعلق بالقلب وليس العقل فهي تمتلك الحقائق التي تبحث عن نوعية الأشياء ومسبباتها ( ورنوك ، ٢٠٠٧، ١٤٠) ، لذلك مثلت الذاكرة التاريخية قيمة معرفية للشخصيات والمتلقي وبحثت في الجذور والأسس التي شكلت الأحداث وحركت الذات واعادة الماضي بذاكرة تلتمس فيها الترابط وتحليل الموجودات ونقلها للمتلقي.رابعاً : الذاكرة التواصلية : تُشكل العملية التواصلية قوة الآصرة الترابطية المحفزة للذات في استمرارية التذكر ، والانتقال بها من متلقي إلى آخر ، أو من جيل لآخر، فتكون عملية " تبادل أدلة بين ذات مرسلة وذات مستقبلة حيث تنطلق الرسالة من الذات الأولى نحو الذات الاخرى وتقتضي العملية جوابا ضمنيا أو صريحا " (اوكان ، ٢٠٠١، ١٢٩) ، ومن ثوابت الذاكرة البقاء على تدفقها ، والبقاء على تواصلها ، لذلك جاءت الذاكرة التواصلية في رواية ( أنفاس صُليحة) عن طريق الراوي وتعدده ، فضلاً عن تقانة الحلم ، إذ عمد الروائي إلى اتخاذ تقانة تعدد الرواة ، والكشف عن طبيعة السرد ، والتنقل من راوٍ إلى آخر ليعطي للمتلقي واقعية السارد وادخاله في القص الذي مثلاً نوعاً من الغرائبية فيها ، فشكل التلقي من الجدة صُليحة الكبرى وزوجها إلى الابن ومن ثم الحفيد دائرة العملية التواصلية التي هيأت الذاكرة وحافظت على استمراريتها ، واسهم في بثّ التناوب في السرد ، واضفاء العجائبية عليه ، بوساطة الراوي المتكلم والمصاحب اللذان تكفلا بالسرد ( جودة ، ٢٠٢٣، ٢٣٤-٢٣٦)ويكشف الروائي عن العملية التواصلية التي اسهمت في اضفاء الديمومة على الذاكرة عن طريق التناوب السردي للراوي في نقل حكاية صُليحة ، فنجد الراوي المتكلم الذي يخبر عن الأحداث التي وقعت ترويها الجدة إلى الابن فقالت : " يا ولدي ، ليس عندنا في البادية غير جدّتك ، وجدّك الأكبر ، وهما قد جاءا من بلاد المغرب منذ زمان ، وتوفيا من سنين طويلة ، فهما مدفونان هناك ...لكن قصتهما أعجب من الخيال ، فقد حكاها لي جدي رواية عن جده الذي كان صبياً في عهد جدتنا صُليحة الكبرى ، ... وقصتهما يتناقلها الأبناء عن الآباء ، وتتوارثها الأجيال ، ولا أدري هل زاد النّاس فيها ونقصوا أو رووها كما سمعوها ، لكن الذي أنا متأكدة منه أن حكاية صُليحة هذه قد حدثت بالفعل ، والتاريخ يؤكدها ويحكي تفاصيلها " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ٢٧-٢٨)تعد الذاكرة التواصلية عملية تحقق انتقال الذات من جيل لآخر ، فالشخصية الرئيسة المتمثلة في صُليحة تسهم في شحذ الذوات الأخر بقصتها ، والرغبة في القص والتوريث له يسهم بشكل فعال

في استمرارية الحكاية وكشف خفاياها ، لذلك يشكل تعدد الرواة واندماجهم مع الذات الرئيسة حافزاً على الديمومة والتوثيق ، والولوج إلى عوالمها التي تساعدهم في الوصول للشغف المنتظر في القص والتدفق السردي له ، فعملية التواصل عن طريق المرسل وهي صليحة ومتلقي هو الراوي ، وقناة الاتصال الذاكرة التي اعتمدت على الحلم وعجائبيته في تحقيق القيمة التواصلية بينهم ، ونقل " مشاعر وأفكاراً يعود مصدرها إلى جماعات أخرى ، حقيقة كانت أم متخيلة ، إننا نتواصل داخلياً مع أشخاص آخرين ... فتملؤه أفكارنا بأناس آخرين " ( هالبواش ،٢٠١٦، ٥٣)واستمرارية الحكاية ينقلها الأب إلى ابنه " قال لي أبي يا ولدي إن كنت ضعيف القلب ، أو كثير الشك ، أو لست مستعداً أن تتخلى عن واقعك المعتاد فلن أحكي لك حكاية صُليحة ؛ لأنها أبعد ما تكون عن الواقع ، ولهذا فإن أجدادنا لا يقصونها للناس ، وإنما يتداولونها بينهم في مجالسهم الخاصة " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ٢٩) ، يكشف الراوي المتمثل في الابن طبيعة القصة وخفاياها التي تحفها الغرائبية ، لذلك يشكل التواصل هنا اختياراً للراوي في الإذن له بالقص أو الامتناع ؛ لأن الهدف من ذلك هو الايصال للإقناع وتفعيل الماضي الذي يمكن للحاضر أن يفهمه ، فاعتماد الأسلوب السردي على الاخبار يسهم في التلقي بالقبول أو الرفض ، فضلاً عن إن العملية التواصلية بين المرسل الأب والمرسل إليه الابن تحققت بفعل قناة الاتصال التي تمثلت في القص الذي اختص به أهل صاحبة القصة وهي صُليحة وشيوعها فيما بينهم ، مما حفز الذاكرة على الاحتفاظ بها وعدها موروثاً بطولياً يفخرون بها في حين تشكل الذاكرة التواصلية عن طريق الراوي الحفيد الكم الأكثر في رواية الأحداث عن طريق امتزاج روحه مع روح جدته التي جعلته يحكي قصتها عن طريق تقانة الحلم فقد " أفادت ثيمة الحلم في انفتاح السرد واضفاء الشاعرية والألفة التي تتوافق مع صوت الراوي المتكلم ( جودة ، ٢٠٢٣، ٢٣٢) وقد افاد تواصلية الأجيال من تحقيق التدفق السردي للذاكرة التي حفزت ذاكرة الشخصية في رؤية الأحداث بلسان غيرها ، وتشاهد بعيونهم ما لم تراه هي ، فتروي للحفيد هذه الذاكرة التواصلية وتعدد رواتها " أبوك قطعة منّي ... وقد كان يحكي لي حكايتي منذ الصغر ، لكنه حكاها بطريقة مختلفة ، فهو ابني ، وحب الابن كما تعلم يختلف عن حب الزوج ، ثم بقيت أستمتع بسرده وهو يعيد حكايتها مثلما كان جدك يفعل ، وأنت قطعة من أبيك ، لذا فأنا أحب أن أسمعها منك بلسانك ، لأنّني أريد أن أسمعها بلسان الحفيد أيضاً ، مثلما سمعتها بلسان الزوج والابن ، وسوف أدخلك إليها من باب يوم الاثنين فهو الباب الذي دخل منه جدّك ، فقد كنت أجد متعة كبيرة في إطلالة روحه وهو يحكي الحكاية ... وهل تعدني أنك ستحكيها لي حين أكون على فراش الموت وتحكيها لأولادك وأحفادك من بعدي ؟ ، أعدك ياجدّتي " ( فضل الله ، ٢٠١٩ ، ٣٥-٣٦) ، رغبة الذات في البقاء هاجساً يلاحقها ، لذلك تتعدد الرواة الذين خلقوا إطاراً تواصلياً يهدف إلى تحقيق غاية الذات الرئيسة في استمرارية القص وتوارثه ، وتكشف عن إن الراوي يختلف على وفق قربه منها ، لأنها أصبحت متلقية ترى الماضي برؤية الأخرين لتعيشه من جديد وتنشط ذاكرتها ، وعدها التاريخ الذي كتبته وحاولت الحفاظ عليه وتوريثه ، فقناة الاتصال وهي الأحداث أو المضمون الذي جعل المرسل يتعدد بالرواة ليخلق وجهات نظر وزوايا غفل عنها الراوي الأول أو لم تكن مهمة له ، لتتكشف عند الراوي الثاني وهكذا ، في حين تمثل صُليحة المرسل إليه الذي يتلقى الحدث ويسترجعه ليشارك في نشوته أو اعادة تصحيحه ، ومن ثم الصاق الذاكرة واعادة ترميمها ليسهم ذلك في اكتمال الحدث واشباع الذات وتكامل قصتها ، فشكلت الذاكرة عملية تواصلية تنحو منحى الرغبة والتوجه الإنساني عند أقطاب التواصل وتوليد أنساق تواصلية جديدة تسهم في اكمال الصورة وترميم الأحداث ، المرسل واستقبال لتنشأ عملية تواصلية منتجة ويعد الراوي الحفيد الأكثر حضوراً في السرد ، ويستمر في رواية القصة الذي يجعل ذاته تلتحم مع ذات الجدة وتدخله إلى عالمها " كأن روحها قد انتقلت وتسللت داخل روحي ، لم أحس بأجمل من تلك اللحظة التي ترفق ساعدها خلالها لحظة فاحتواني قبل أن تضمني إليها بقوة ، وسألت نفسي هل كانت تعي وتعني ما تقول حين قالت إن جدي كان يعود معها بروحه إلى الماضي فيشاهد كل شيء ، ويحكي لها كل شيء ؟ ... حين أغمضت عينيَّ رأيت أني أفتحهما على عالم مدهش ، وكأن روحي انتقلت إليه بالفعل ، وأني في مكان بعيد غريب لم أزره في حياتي من قبل ، وكنت أنظر إليه من فوق مكان عالٍ " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ٣٨-٣٩) ، فالتواصل الروحي الذي توحد في ظل السرد هيأ للأحداث النمو والتدفق الذي حفز الذات في انتظاره ، واسهم في ديمومته ، لذلك أعطى الروائي لأحداثه العجائبية التي حيرت ذهنية المتلقي في اختياره لنوعية التقانة التواصلية للراوي في رواية الأحداث فربما هو نوع من التجريب الروائي الذي يعلله تقارب الأزمنة بين الشخصيات في الخيال على الرغم من سعة زمن القص الذي يتشظى بفعل سعة المدة الزمنية وأحداثها ، فتقانة الحلم تقرب واقعية السرد وتملك الراوي السرد به و" استرجاع لآثاره في النفس ، الحلم أبعد من الذكرى ... أما الذكرى فهي غوص في عمق الزمان ، ومحاولة لاجتياز المسافة التي تفصلنا عن الحلم في هذه المحاولة لا تكرر الذات المتذكرة الحلم ، إنها تعيد ابداعه تجعله حينياً أو حالياً ، فالذكرى ليست تمثيلاً للحلم إنها إدراك له أو تصور ، تصور تقوم الذات والآن بتشكيله" ( طلبة ، ٢٠٠٤، ٢٦٦)وتتحد ذاكرة الحفيد مع الجدة في رواية الأحداث لتكون مشاهدة لأحداث لم تراها في واقعها ، وإنما تسمع وتشاهد عن طريق الراوي الحفيد " علمت أن جدتي صُليحة كانت ترى كل هذه الأحداث معي وتعيشها مرة أخرى ، وأنها تركتني استرسل في السرد حتى أقرر أن أفيق وحدي دون تأثير منها

....أخبرتني أن اليوم الذي أدخلتني من بابه كشف لها تفاصيل أحداث لم تراها حين حكاها لها زوجها –الذي هو جدي–أو الأحداث التي شاهدتها هي وابنها–الذي هو أبي–فقد أدخلتني من باب يوم الاثنين ، وهو الباب الذي دخل منه جدي ، وأننا رأينا معاً كثيراً من الأيام التي لم يرها جدي معها " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ١٢١) ، تحاول الذات أن تملأ الفراغات التي عجزت عن رؤيتها أو تفسيرها ، لذلك تشاهد الماضي الغائب عنها وتعيشه مرة آخرى لتفعيل الذاكرة ، واتخاذ الراوي الحفيد لزمام السرد يكشف عن الوقائع التي غفل الراوة عنها وهيأ للذات اكمال العملية التواصلية في الأحداث عن طريق اتخاذها لتعدد الرواة عاملاً مهماً في تحقيق التواصل بين أقطاب العملية التواصلية وحافزاً على التوثيق واعادة تحليل الوقائع لنقلها إلى المتلقي بتفحص وتمحيص ، وكذلك بثّ المصداقية في السرد عن طريق هذا التعدد ، وتجريب الرؤية الجمعيّة للذاكرة وتناقلها للأجيال فهو نوع من التناقل الشفاهي للحدث الذي يجعل من الذاكرة عاملاً في الحفظ والمراجعة وصورة للماضي التي تروى بالآن والاسهام في التحقق منه اعتمد السرد على تعدد الرواة الذي كان عاملاً مهماً في تحقيق الذاكرة التواصليّة بين المرسل والمرسل إليه ،فكان الراوي " أداة أو تقنية يستخدمها القاص في تقديم العالم المصور ، فيصبح هذا العالم تجربة إنسانية مرسومة على صفحة عقل أو ذاكرة أو وعياً إنسانياً مدركاً " ( الكردي ، ٢٠٠٦، ١٨) واسهمت الذاكرة التواصلية في استمرارية القص وديمومة السرد الذي كون العملية التواصلية ونقل تجربة الذات إلى ذوات أخر أسهموا في شحذ الذاكرة وساعدوا في اكتمال قصها .

## المحور الثالث : تمثلات الذاكرة في رواية أنفاس صُليحة :

ارتبطت الذاكرة بمتعلقات مادية أو معنوية يستحضرها الذهن ليعيد قرائتها وادراك أن للموجودات أثر في تحفير الذاكرة على استرجاع المواقف وبيان أثرها في الذات واسهامها في تشكيلها ، لذلك ظهرت الذاكرة عن طريق الجسد أو الفقد ، وأحيانا العنوان الذي يستعيد الروائي عن طريقه هوية الذات وماضيها ، لذلك تكونت تمثلات الذاكرة من :

أولاً : الذاكرة والعنوان :إن أول علامة تواصلية بين المؤلف والقارئ تكمن في العنوان الذي يمثل مرحلة أولية في الكشف عن السمات الأدبية له ، ويحدد جنسه الأدبي ، وشدة تفاعله وبيان دلالته ، فالعنوان "علامة لسانية وسيميولوجية بامتياز، وغالبا ما تكون تلك العلاقة في بداية النص لها وظيفة تعينية ومدلولية، وهو الذي يوجه قراءة الرواية، ويعتني بدوره بمعان جديدة، بمقدار ما تتوضح دلالات الرواية، فهو" المفتاح الذي به تحل ألغاز الأحداث، وبه يستساغ إيقاع نسقها الدرامي وتوترها السردي ، علاوة على مدى أهميته في استخلاص البنية الدلالية للنص ، وتحديد سمات الخطاب القصصي واضاءة النصوص بها( حمداوي ، ٢٠١٦، ٦٧) ، وتكمن أهميته في عده مفتاحاً يتسلح به محلل النص الأدبي للدخول إلى خبايا النص وبنيته العميقة والمحاولة في استنطاقه ( حمداوي ، ١٩٩٧، ٩٦) ، لذلك يمثل العنوان هوية النص الأدبي الذي يثير فضول القارئ ويلهمه ( سعدون ، ٢٠١٠، ٦)ويمثل العنوان الرؤية الأولية لعملية تأويل النص الأدبي ، إذ اختار الروائي عمر فضل الله عنواناً لروايته موسوماً بـ ( أنفاس صُليحة) ، فهو العنوان الذي يحيل إلى تركيب لغوي من مضاف ومضاف إليه ، فقد جاء تعريف النفس عن طريق الاضافة لينتقل العنوان من " حالته العمومية إلى حالة التقييد والتخصيص " ( حسن ،( د–ت)، ج٣/١) ، كذلك يحيل العنوان إلى الشخصية الرئيسة في الرواية وهي صُليحة ومن هنا يبدأ القارئ في معرفته بأنها الشخصية الرئيسة في القصة ، ليكون العنوان مرتبطاً بالمضمون الروائي في قصة صُليحة ، الذي تكشفه الأحداث الروائية في بيان اتساق النص وانسجامه مع المضمون الروائي ( حمداوي ، ٢٠٠٢، ١٠٢)،فعند تحليل العنوان ( أنفاس صُليحة) يكشف لنا عن توافق المضمون الذي يروي قصة صُليحة ، وطريقة روايتها لتلك الأحداث التي مرت بها ، عن طريق تعدد الرواة الذين يدخلون لعالمها ويرون بلسانهم أحداثها ، فأنفاس جمع أنفس وهي من المفردة نفس التي تعني الروح أو الجسد ( الجوهري ، ١٩٨٧، ج٣/٩٨٤) ، وجاءت اللفظة على وزن أفعل وهو جمع قلة التي وضحت دلالتها عن طريق نقل صُليحة لأنفاسها إلى الرواة ، أي نقلت ذاكرتها إلى أربعة أشخاص هم الجد، والزوج، والابن، والحفيد، فهنا شملت دلالة اللفظ دلالة المعنى المراد منها ، ومعنى اسم صُليحة هو اسم مأخوذ من الصُلح وقد صُغر الاسم وأُونث فأصبح صُليحة ، فالعنوان يدل على روح صُليحة أي تداخل روحها مع غيرها وهذا ما تمثل في مضمون الرواية التي تداخلت أنفاسها مع الرواة وتعددهم ليرون الماضي وقصتها وتشترك معهم في الرؤية والتحليل للأحداث مثل العنوان العتبة الأولى لمفهوم النص الروائي ، إذ يكشف عن طريقه المضمون الذي يكون رمزاً يشد انتباه المتلقي ، لذلك اختار الروائي عمر فضل الله عنوان روايته (أنفاس صُليحة) ليكون العتبة الأولى فيها ، وقد ضمن معنى العنوان في متن الرواية التي كانت سلسلة التواصل والتذكر بين الجدة صُليحة ، والزوج ، والابن ، والحفيد في اتخاذهم مهمة الراوي الذي يسرد أحداثها نيابة عنها عن طريق أنفاسها ، فهي لم تك هرمة أو أصابها الخرف وإنما تحكي قصتها لتكشفها ولتكون مادة للأجيال من بعدها " جدك رجع معي للماضي عبر أنفاسي ، وشاهد قصة حياتي في أرض الأجداد ، منذ أن كنت صغيرة حتى تزوجته ، كان يعود معي بروحة للماضي ، حيث يتوحد دفق أنفاسي مع نفث أنفاسه فنصير روحاً واحدة ، ترى بعين الروح في الماضي ما يراه الناس بعين

الحقيقة في الحاضر ، فيحكي لي ما يشاهده " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ٣٣-٣٤) ، إذ أشار السرد إلى معنى الأنفاس التي تضمنها العنوان وقصد بها روح صُليحة التي عاشت الأحداث الماضية ونقلتها إلى الراوي الذي تعدد بين الجد ، والزوج ، والابن ، والحفيد فاندمجت روحها مع روح الرواة لتسهم في رواية قصتها ، فجاء العنوان موافقاً للمضمون الذي حفز المتلقي وايقظ ذاكرته التي اسهمت في رواية الأحداث .لم يكن تداخل أنفاس صُليحة مع الراوي نوعاً من السحر أو الشعوذة ، وإنما هو تداخل روحي تدخله له وتؤثر فيهم لتجعل توحدهم في رؤية الأحداث بعيونهم لتشاهدها عن طريقهم ، لذلك يستغرب الحفيد من تلك الرؤيا التي تجعله يرى الماضي ويسألها عن ذلك " هل أنت ساحرة يا جدّتي ؟ ، معاذ الله يا ولدي ، أعوذ بالله من السحر والسحرة ، هذا دفق أرواح وهذه أنفاسي ، أنفاس صُليحة تذهب بك للماضي ، تعال تعال واجلس واحك لي ما رأيت " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ٤٠) ، في هذا النص يصرح الروائي بأثر أنفاس صُليحة في تشكيل ذاكرة الراوي وتفعيلها التي حققت للسرد التمكين من القص وروايته .ويشرح الراوي أنفاس الجدة صُليحة في تشكيل الأحداث وطريقة رؤيتها للماضي الذي يمثل الذاكرة التي لا يمكن أن تتغير ، فتروى فقط " يبدو أن أنفاس صُليحة ليست معنية بتسلسل الأحداث ، ولا الأماكن ، ولا بطريقة حكايتها ، فهي فقط تستعيد ما ترغب صّليحة في رؤيته ، أو ما تريدك أن تراه معها ، وعليك أن تعيشها وكأنك تشاهد رؤيا منامية ، لكنك في واقع الأمر تراها على الحقيقة ، وأنت وقتئذٍ لا تملك إلا أن ترى ، ولا تملك تغيير تلك الأحداث ، ولا التأثير في الرؤيا ، فهي قد حدثت وانتهت منذ زمان ، وما أنت إلا شاهد وتحكي عن شيء لم يقع ، لكن هذه الرؤية تحدث في اليقظة وتستعيد أحداثاً قد وقعت في الماضي على الحقيقة" ( فضل الله ، ٢٠١٩، ١٢١-١٢٢) ، يشرح الرواي طريقة الشخصية الرئيسة في السرد وانتقالاتها بين الذاكرة ورؤيتها للأحداث التي نقلتها عن تقانة الحلم إلى الرواة فهذا سوغ لها أن تستمر في السرد وتحافظ على الذاكرة المتيقظة لها ، فكان العنوان موافقاً للمضمون الذي جعل من الذاكرة عاملاً أساسياً في السرد وتفعيله في تكوين المادة السردية ، فكان مفتاحاً للرواية وجه المتلقي إلى المضمون وطابق بين العنوان الرئيس والأحداث التي شكلت الرؤية الفنية لها تحقق العنوانات الداخلية التي تكون " أكثر التصاقاً بالنصوص ، وأقرب إليها مكانياً من العنوانين الخارجية ، فإذا كانت العناوين الخارجية تحدد وتؤطر العمل ، فإن العناوين الداخلية تلغي سطوة العناوين الخارجية ، وتقوم بمحاولة استبعادها ليتم الانفتاح على عوالم أكثر خصوصية " ( واصل ، ٢٠١١، ٦٠) ، وتسهم في عضد العنوان الرئيس فكرياً وتركيبياً ، ولا تنفصل عنه (واصل ، ٢٠١١، ٦٠) ، إذ عملت العنوانات الداخلية على ترتيب الذاكرة وربط الأحداث ، ولا سيما في العنوانات التي تشير إلى الشخصيات أو أسماء المدن لتكون دليلاً على أن هذا الفصل من الرواية سيعرض ذاكرة الشخصية أو الأمكنة في تطابق بين المضمون والعنوان ، شملت الرواية أربعة عشرا عنواناً داخليا منها ما تناول ذاكرة الشخصيات مثل عنوانات ( أنفاس صُليحة ، استراحة الهاربة ، أونتي أجمل أم القمر ، دوانة ومندو ) وغيرها تناول ذاكرة المكان مثل ( الخراب ، ذكريات الأرض الأولى ، تيمبكتو ، في مخدع الملك ، ذكريات الأرض الأخيرة ) ، فكان التوافق الموضوعي يتماشى مع العنوان الرئيس للرواية ، وحمل الذاكرة التي رافت الشخصيات والأمكنة وسردت تاريخها .

ثانياً : الذاكرة والفقد تسترجع الذاكرة الماضي الذي يشكل حاضر الشخصيات ويؤسس مساراتها المستقبلية ، ونشوء المأساة وأثرها على الذات يحفز الذاكرة على تداعي الأحداث المؤلمة التي تشكل جرحاً فيها تبقى أثاره ممتدة في الذهن صعبة المحو أو النسيان ، لذلك شكل الفقد نوعاً من الإلصاق الذاكراتي المستقر في ذهن الشخصيات الروائية التي تتعلق به ويعد محفزاً لها للوصول للهدف ، أو ردة الفعل التي يشكل الانتظار والصبر جانبان منها ، فمثل الفقد عاملاً أساسياً في تشكيل الذات في الرواية ، فصُليحة ، ودوانة ، وأونتي ، وحسينة ، هي شخصيات مُنيت بالفقد وتعرضن لقهره ، فدوانة شخصية مثل الفقد عندها رؤية تعتمد على اعادة لملمة الذات وتهيأت ظروفها لتعيد ردة فعلها وتنتقم ممن قتل زوجها الأمير أوندي ، فهروبها من القصر مع ابنتها أونتي واختفائها عشر سنوات في ساقية الشيطان المكان الذي يهاب الناس دخوله ، وشظف عيشها وتغير ملامحها كان بدافع الانتقام وأخذ الثأر من قتلة زوجها ، إلا أن ذاكرتها ما تزال تنبض بمشاهدات الفقد واستحضاره في كل يوم " أهل سُوبا لا يعلمون أن المرأة التي لجأت إلى هذا المكان منذ عشر سنوات أو تزيد هي الأميرة دُوانة بقلبها المفطور ، ومعها ابنتها الصبية الصغيرة أونتي التي لم تبلغ السابعة أو الثامنة ، وأن دُوانة قاتلت لتبقى هي وابنتها على قيد الحياة من أجل هدف واحد هو الانتقام ، دُوانة نشأت ابنتها على الانتقام لأبيها المقتول غدراً ...إن دُوانة كانت تقف عند شاطيء النيل بعد مغيب الشمس في مثل ساعة مقتل زوجها الأمير أوندي وتطلق تلك الصيحة ، صيحة الغضب الذي لا يسكت ، والغل الذي لا يهدأ بل ويتجدد كل ليلة " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ١٤٤-١٤٥) ، ارتبطت الذاكرة بالفقد ، إذ تستعيده الذاكرة صورة حاضرة في الذهن تحرك الشعور بالانتقام ، وتهيج الذات إلى التيقظ والتمسك في أمل الوصول إلى تحقيق الهدف ، لذلك عدت ذاكرة دُوانة الذاكرة المحملة بالمأساة الناقلة والحافظة للأحداث في حين مثلت ذاكرة أُوني المستقبل الذي حفزت ذاكرتها المرويات التي سمعتها ، فضلاً عن مشاهدات شاخصة في الذهن يمكن لها أن تُمحى لولا وجود المحفز لها من الأم دُوانة عن طريق تجديد الذاكرة والتمرس على اظهار الألم بوساطة الصيحة التي تنفس بها عن الوجع المخزون في داخلها ، فاستطاع السرد أن يوظف الحالة الدرامية لقصة دُوانة لتكون بؤرة التماسك الفني

في ربط الأحداث وتسلسلها ، والتقائها لتكّون جانباً من التعالق بين التاريخ والسرد الذي أفاد الثاني من الأول في الإطار القصصي للحدث الحقيقي واضفاء الخيال عليه ليسهم في سرد الحدث بتشكيل فني جديد يعيد للمتلقي الماضي بأسلوب مختلف عما سمعه من قبل .في حين أصرت ابنتها أونتي على الانتقام ونشأت على الصبر وانتظار اليوم التي تنتقم من قتلة والدها فعندما حانت فرصة الانتقام يشرح الراوي معاناتها " أُونتي كان تصميمها على الانتقام أكثر من تصميم دُوانة نفسها ، فقد ذاقت اليتم مبكراً ، بل رأت أباها مقتولاً ورأت رأسه معلقاً في ساحة المدينة والنّاس يتفرجون ، حفر هذا المنظر في قلبها عميقاً ، وكانت ترى مثيلاتها يسرن مع آبائهن في الطرقات ، لكنها كانت تنظر فترى أنها أصبحت بلا أب ، وحين هربت مع أمها وعاشت في هذه المنطقة المهجورة بلا مأوى كافحت لتبقى على قيد الحياة من أجل هدف واحد هو الانتقام ، فأعدت نفسها واستعدت لذلك اليوم جيداً" ( فضل الله ، ٢٠١٩، ١٥١-١٥٢) ، اعتمدت الذاكرة على الرؤية المشهدية للفقد ، إذ ظلت ذاكرة الطفولة متيقظة ومستقبلة له، فمخزونها هيج التوافق بين مشاهد فقد الأب ورؤية جثته مصلوباً ، ومشاهد الشعور بوحدتها وفقدها لأبيها الذي حرك المشاعر المكبوتة فيها ، وجعل الذات تسترجع الرؤية العميقة لها عندما تيقظت ذاكرتها الصورية مع الذهنية لتجتمعان مولدتان الرغبة في الانتقام وهو الهدف الذي تحاول الوصول له بفعل المحفزات المحيطة بها ، إذ " كلما كانت الانطباعات الأولى التي تبصمها الطبيعة على العقل أقوى ، وخصوصاً عقل الطفل ، كلما كانت صور الذاكرة التي يخزنها العقل أكثر ثباتاً وقوة وزادت قدرة الإنسان على احتمال حياته وفهمها " ( ورنوك ، ٢٠٠٧، ١٣٦) ، فالأسلوب السردي أعطى صورة تقابلية بين حالات الفقد التي تعرضت لها أوني في الماضي والحاضر وهو الذي قادها إلى شعور الوحدة وغربة الذات والنشوء على حب الانتقام ، مما كون شخصية قاسية متيقظة تحاول الظفر بالنصر ورؤية الآخر يعيش المأساة لتستريح ذاتها وتحقق الهدف من ذلك ؛ لأن الفقد كان " ملازماً لعمل إعادة التذكر ، غير أن هذا الإرجاع إلى الغياب لا يصبح مصدر حيرة إن ظل الغياب متوازناً بفضل الحضور الخاص بتذكر سوابق الماضي حين تتوج هذا التذكر التجربة الحية للتعرف والتحقق التي هي رمز الذاكرة " ( ريكو ، ٢٠٠٩، ٥٧٤) والفقد يمثل نوعاً من التمرد والبقاء والاجتهاد في الوصول إلى الهدف ، وهو ما تمثل في شخصية صُليحة التي حفزتها العاطفة وشدة التعلق بجدّها ، وشعورها بفقده بعد فقد والديها بضرورة اتباع رحلة القوافل المتجهة إلى الحج للحاق به على الرغم من صعوبات الطريق ومشقته ، فالشخصية أثر فيها الفقد واحاط بها من كل جوانبها ، فضلا عن فقد المكان فالذكريات تجتمع التي يرويها الراوي ليجمع خلاصة تجربتها " كنت يتيمةً ووحيدةً في مدينة لم تعرفِ السكينة إليها درباً ، ولا الأمن طريقاً ، شهدت آخر أيامها " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ١٦) ، شكل الفقد في شخصية صُليحة الانطلاقة الأولى لحياتها واستمرارية الشعور به ، إلا أن فقدها كان يمثل تشكيل الذات الحكيمة التي حصنت نفسها بالتجارب وتفعيل الرؤية الهادفة التي نمت شخصيتها وجعلتها شخصية مؤثرة في الآخرين ، فرحلتها كان الهدف منها اللحاق بجدها الذي يعد آخر ما تبقى لها من أهلها ، فضلاً عن فقد المكان واستمرارية الترحال ، كل ذلك جعل ذاتها تفقد الموجودات وتغادر الطفولة إلى البلوغ والتحمل ، فخزين الذاكرة عندها تضاعف بفعل الأحداث وتعددها وخوضها للمغامرات أكسبها التحفيز والتفعيل لها مما جعل منها شخصية رئيسة في السرد تمسك بالأحداث وتروي الماضي وتنقله للأجيال للتوثيق ولتحقيق الرغبة في راحتها وبيان أمجادها ومفاخرها التي مثلت الذاكرة الحافظة لها والشعور باستقصاء الماضي والحفاظ عليه .

ثالثاً : الذاكرة والجسد إن بقاء الأثر في الذهن يظل مخزوناً في دواخل الذات التي تحتفظ به وتستعيده في حالات وجدانية خاصة ، في حين يشكل الأثر الظاهر لتمثل المآسي في الجسد الذي يعد شاهداً على ذكريات تعرضت لها وشكلت علامة فارقة في مسارها ، وهذا ما نجده في الشخصيات الروائية التي مثل الجسد فيها الاختلاف والدلالة على رموز الذكريات التي تشعبت فيها "باعتباره نسقا تواصليا له امتدادات في كل مناحي الحياة العاطفية والعقلية والمخيالية .. انه لغة أو هو لغات لها قوانينها ومنطقها واسرارها" ( بنكراد ، ٢٠١٢، ١٩١)فالاختلاف هو الشيء الذي ميز صُليحة عن غيرها من نساء المدن التي مرت عليها في أثناء رحلتها في البحث عن جدّها ، لذلك يستذكر الراوي الحفيد اختلاف جدته فقال : " أذكر أنّني حين كنت طفلاً لاحظت أن لون بشرتها مختلف عن لون بشرة بقية أمهاتي الأخريات من جهة أمي ، فهن سمراوات وبشرتهن مطفأة ، لكن بشرة جدّتي لأبي كانت بيضاء وفي بياضها حلاوة حنطية محببة ، لم يغيرها العمر ، ولم تذهب بنضارتها الأيام ، ولا حظت أن متاع بيتها لا يشبه أمتعة بيوتنا ، ولا أثاثه مثل الأثاث الذي اعتدنا عليه في قريتنا ، فهي تعيش حياة البداوة ، وتتخذ فراشاً على الأرض ، وتلبس ملحفة لا تشبه ثياب النساء عندنا ، وأدوات بيتها غريبة عن الأدوات التي اعتدنا عليها ، وكذا الزينة ونوع الطعام ... وقد لفت هذا الأمر انتباهي حين كنت صغيراً ، لكني اعتدت عليه بعد ذلك ولم أسأل نفسي عن سبب اختلافه عن بقية متاع بيوتنا" ( فضل الله ، ٢٠١٩، ٣١) ، إن التميز عن الآخرين خلق رؤية موضوعية في ذهن الراوي الحفيد الذي وضح سبب اختلاف جدته عن النساء في المدينة ، فكان الجسد وطبيعته العلامة الفارقة في التذكر ، وقد تنبه على المميزات التي انمازت بها الشخصية من لون بشرتها ، ومتاع بيتها ، وطعامها ، ولباسها ، كل ذلك حفز ذاكرة الراوي على استقصاء الموجودات وفعلتها بفعل التقابل الصوري ومقارنتها بمثيلاتها في المكان ، والاشارة إلى انتمائه ضمن رمزية توضح البعد المرجعي للشخصية وأثر

المكون الثقافي للتنشئة في تشكيلها ، وطبيعة الجذور التي أصبحت علامة على تنوعها واختلافها في بيئة أخرى وسمها الجسد وجزئياته التي اضفت الاختلاف والتفرد عن غيرها وميز هويتها .واختلافها هو الذي جعل زوجها عبد السميع يراها ويتزوجها بعد أن كانت متعلقة في ذاكرته وسمع بحكايتها من جدها في الحج ، فيعرفها في حفل زواج أحد أقرباء عبد الله القرين زعيم قبائل العرب القواسمة فقال : " حين رأيتُ صُليحة عرفتُها ، وكانت قد جاءت لحضور تلك المناسبة ، كانت حزينة رغم أنها جاءت تشهد فرحاً ، وكانت متميزة عن بقية البنات بلونها القمحي الناصع ، وتأكدت أنها هي صُليحة لأنني رأيتها تلبس الجلابة والشربيل ، ورأيت السُبَّاط في قدميها ، والنّاس هنا لا يعرفون هذه الملابس ، ولا يلبسونها ، وحين اقتربت منها وسألتها عن اسمها أخبرتني " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ٢٢٨-٢٢٩) ، شكل الجسد المحفز الأول لتعريف الذات بمكوناتها ، فقد خزن الآخر المعلومات التي استقبلها من الجد وحفظها لتكون دليله في التعرف على صُليحة والزواج بها ، فهنا أيضاً شكلت ثقافتها واختلافها عاملاً أساسياً في تيقظ الذاكرة وتأكيدها ، ومثل كينونتها ، وامتلك الجسد التواصل والتميز واعطاء هويته الفردية بين الناس ( الزاهي ، ١٩٩٩، ٩٧) ، لأنه مثل الواقع الاجتماعي والدلالي والموضوعي للإنسان وعلامة على استعمالات منبثقة من الذات والأشياء معاً ( بنكراد ، ٢٠١٢، ٢١٥)ومثل الجسد رمزاً لتحفيز الذكريات المؤلمة وتأزم الذات في ظل حضوره وعده عاملاً مهماً في الانتقام ، إذ إن رؤية جسد الأمير أونتي مصلوباً شكل حفريات تعشقت في بواطن ذات الشخصيات ، ولا سيما دُوانة وأونتي اللتان اتخذتا من الجسد وسيلة لشحذ الذات برؤية التوجس والحذر " أخذتها أمها في إحدى الليالي إلى سُوبا سراً وجعلتها ترى أباها مصلوباً ، ثم أخذتها مرة أخرى لتريها رأسه مقطوعاً ومعلقاً في ساحة المدينة والنّاس يتفرجون ، حفر هذا المنظر في قلبها عميقاً ، ونظرت حولها فرأت مثيلاتها من البنات يسرن مع آبائهن في الطرقات لكنها أصبحت الآن يتيمة بلا أب ، حينها أكلها الغضب وملأها الغيظ وأصبح تصميمها على الانتقام أكثر من تصميم أمها دُوانة نفسها .... وكلما عانت من ويلات الحياة تذكرت يوم الانتقام فصبرت على شظف العيش وهول الحياة وقسوتها ، رأت أمها وهي تنزع الثياب من جثة امرأة طافية فوق الماء .... انتزعت الثياب لتستر بها عورتها بعد أن تمزقت ثيابها وتهرأت بفعل الزمن ... فاعتادت أُونتي وأمها على ارتداء ملابس الموتى تستران بها جسديهما في تلك البقعة المهجورة عند منحنى النيل " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ٨٧) ، ارتبط الجسد بالذاكرة التي هيأت ذاتها لخلق ردة فعلها المنتظرة ، ورفضت النسيان الذي ألغي من قاموس الذات وبقي الجسد يمثل شحذا للذكريات التي تعطيه الاستمرارية والاصرار على البقاء وتذكر الماضي فـ" حين يتحول الجسد إلى ما يشبه الأطلال فإن الذاكرة تقف عليه ، فتبكي وتستبكي ، وكذلك يفعل الجسد عندما يرى إلى ترنحات الذاكرة ، وهي تنحني على أطياف الماضي لتحميها من افتراسات الحاضر ، الذاكرة ابنة وفية للجسد ، والجسد أب مجبول بالحنان " ( بيرقدار ، ٢٠٠٤، ٩)ويشكل الجسد وسيلة لتحقيق غاية أونتي في اغواء الأعداء للتقرب منهم والوصول لمبتغاها في الانتقام منهم ، فترقص في ساحة المدينة لتثير غرائزهم " اليوم تطلق العنان لجسدها ليفعل ما يشاء على إيقاع الطبول النحاسية ، ولروحها لتحلق في أجواء تلك الساحة المكتظة في سُوبا ... أُونتي أغمضت عينيها ورقصت مع كل إيقاع ، رقصت بتأن أحياناً ، وبجنون في أحيان أخرى كثيرة ، جسدها الفاتن ورقصها البدائي المتوحش جعل الأعين تتبعها جيئةً وذهاباً ، وانتبه لها كثيرون " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ١٧٣) ، إن الجسد هيأ له الشهرة والانتشار في مدة قصيرة بين المجتمع الذي اضفى الحرية المفقودة له ، وحقق الرغبات المكبوتة وشكل في الذاكرة الصورة الحاضرة التي جذبت المجتمع لها ورافقت خياله بفعل الذاكرة الصورية التي حفظها الذهن ، لذلك أفاد السرد من ذلك الحدث النقلة الدرامية التي غيرت الأحداث وشكلت النهايات التي ينتظرها المتلقي ، و" إن الجسد لا تتحقق هويته إلا بالتحامه وتداخله مع الجسد الآخر ... وعند غياب أحدهما تغيب الهوية ؛ لأن أحد الجسدين لا يشكل كينونة مكتفية بذاتها إنه يحتاج الآخر وتميزه وتعرفه وفاعليته القادرة على التشكيل " ( الغانم ، ٢٠١٩، ٨٠) ، فقد أعطى الجسد التحفيز والانفعال كونه جوهر الإنسان ( صليبا ، ١٩٨٢، ج٤٠٢/١)وعن طريق الجسد تمكنت الخاطبة وطمبل من معرفة دُوانة بعد أن شوهت نفسها وحلقت شعرها ، وتغيرت ملامحها بفعل شظف العيش وحرارة الانتقام وانتظار الظفر ، لذلك يخبرها طمبل بذلك عندما رفضت تزويجه ابنتها أونتي فكشف سرها " ألم أقل لك لا شيء يبقى سراً في هذه المدينة؟ واضح أنك نسيت أمر الخاطبة التي تعرف كل من عاش في سُوبا ، حتى لو غاب عنها عشر سنوات ، وإلا فكيف أصبحت خاطبة ؟ هي لا تنسى الوجوه حتى لو تم تشويهها يا سمو الأميرة دُوانة ، أنسيت أنها هي التي خطبتك لزوجك الخائن المصلوب أوندي ؟ وبالطبع تعرفت عليك فور أن رأت وجهك تلك الليلة فجاءت وأخبرتني " ( فضل الله ، ٢٠١٩، ٢٠٥) ، إن الذاكرة البصرية والتعرف على ملامح الجسد حقق التيقظ واسترجع التمكين لها ، و" اقترنت لفظة الجسد بالذاكرة ... فالذاكرة جانب تخييلي لكن ذلك يبقي حضور الجسد هو أن موضوع الذاكرة في بعض من الجسد " ( شاوشي ، ٢٠٢١، ٨٢)، فالخاطبة وطمبل امتلكوا ذاكرة طويلة الأمد سهلت لهم معرفة الآخر عن طريق ما تبقى من الموجودات التي تمتعت الذات بها وشكلت النهاية السردية لشخصية دُوانة التي فعلت الشعور بمعرفة الآخر وسهلت الانتقام له مما مثل للذات الكشف عن الغموض في شخصيتها والرغبة في تعجيل الوصول للهدف ، وتحقيق الرغبة بالانتقام ، فمثل التعالق بين الجسد والذاكرة المحفز الذي

ربط حيثيات الذات واتخاذه وسيلة للوصول للغايات الدفينة .شكل الجسد رؤية رمزية وعلامة أغنت السرد وعززت سماته الصورية المحفزة لذهن المتلقي ، وأكسبته الوجود الفعلي والنصي وفعلته الذاكرة التي عن طريقها " يتحرر الجسد من خلال الذاكرة ، ولا يمكن فهم فلسفة الجسد التي يمكن التعبير عنها عبر المظاهر والحالات السوسيولوجية والثقافية ، إلا من خلال استيعاب عميق سوسيوتاريخي ورؤية شمولية لوعي الإنسان بجسده" ( الغانم ، ٢٠١٩ ، ١٠٣-١٠٤) ، لذلك شكل الجسد الهوية الفردية للذات عن طريق رسم ملامح الشخصيات والافادة من تنوعها واختلافها ليعطي لها مرجعيتها المنتمية لها ويخبر المتلقي عن جذورها وفاعليتها السردية.

## الخاتمة :

وختاماً خلص البحث بنتائج أهمها :

-تعد الذاكرة عاملاً مهماً في شحذ المرجعيات المعرفية للكاتب ، إذ تسهم في ترتيب الأحداث ، وانتقاء النافع منها ، وترتيبها على وفق المحفزات الذاتية التي اجترها الكاتب من الذهن ونسج عن طريق المخيلة والحقائق عالمه الروائي اللذان تفاعلا وانتجا عملاً سردياً حقق الانتماء والايهام بالواقع وحفز الذاكرة واستعملها أداة لإنشاء العمل الفني .

-ارتبطت أنماط الذاكرة بالذات الفردية والجمعية ، إذ يتحقق عن طريقهما الولوج إلى التوثيق والانتقال من الخاص إلى العام وعكسه ، فالذات الساردة تستعمل آلية التذكر لتستجيب إلى دوافع الذات الشخصية الفردية التي شكلت وعي جمعي كون الذاكرة الجمعية والتاريخية ، في حين عدت الذاكرة التواصلية آلية تضفي الاستمرارية للأحداث ويتفنن الكاتب في توظيفها وهنا استعمل تقانة الراوي وتعدده والارتباط الوثيق بينهما ليقنع المتلقي بالأحداث ويعطي مساحة أكبر لوجهات النظر من زوايا مختلفة ويحلل الأحداث عن طريق ذلك التعدد .

-اعتمد الروائي عمر فضل الله على استنطاق الشخصيات عن طريق تحفيز الذات على الاشتراك في رواية الأحداث مع الشخصية الرئيسة صُليحة ، فوجه المتلقي من عتبة العنوان إلى ارتباطها بالذاكرة ، فضلا عن المضمون الذي تمثلت فيه ذاكرة الفقد التي تعرضت لها أغلب الشخصيات الروائية ، وكذلك ذاكرة الجسد الذي عدّ أحد المحفزات للذاكرة ، فتنوعت مضامين الروائي التي شملت التعالق بين الذاكرة وتمثلاتها في العنوان والفقد والجسد ، إذ حفزت الذاكرة على الالتصاق في الذهن وتمثله فيه .

## المصادر :


١-أوكان ، عمر ، ٢٠٠١، اللسانيات والتواصل ، مجلة فكر ونقد ، السنة الرابعة ، فبراير ، العدد ٣٦ .

٢-بنكراد ، سعيد ، ٢٠١٢، السيميائيات ( مفاهيمها وتطبيقاتها )، ط٣ ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية .

٣- بو عزة ، معمر ، وبن عمر ، سوارين ، ٢٠٢٢، الذات والانفتاح على الآخر في فلسفة بول ريكو ، مجلة أدارا ، المجلد ١٠ ، العدد ١

٤-بونويل ، ١٩٨٦، الذاكرة البصرية، بونويل، ترجمة :أمين صالح، مجلة (كلمات)، البحرين، ع٧.

٥-بيرقدار ، فرح ، ٢٠٠٤، الإبداع طارئ أبداً ومتجدد أبداً ، جريدة الأديب ، بغداد ، العدد ٣٨ .

٦-جادور ، محمد ، ٢٠٠٦، الخطاب التاريخي بين امتداد الذاكرة وحدود التأويل، مجلة بصمات للعلوم الإنسانية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المغرب ، العدد ١.

٧-جودة ، وسن عبد السادة ، ٢٠٢٣، الايديولوجيا والراوي في روايات عمر فضل الله ، مجلة آداب المستنصرية ، م٤٧، ع ١٠٣ .

٨-الجوهري، ابو نصر اسماعيل ، ١٩٨٧، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين – بيروت.

٩-حسن ، عباس ، (د،ت) النحو الوافي ، ط٣ ، دار المعارف ، مصر .

١٠- حمداوي، جميل ، ٢٠١٤، شعرية النص الموازي عتبات النص الأدبي ، شبكة الألوكة .

١١- حمدواي ، جميل ، ٢٠٠٢، السيموطيقا والعنونة، ط٢، دار الريف، تطوران، المملكة المغربية.

١٢- الحياني ، فاتن عبد الجبار جواد، ٢٠٠٦، الذاكرة نصاً في الشعر العراقي الحديث – التجربة الشعرية عند الروّاد ، اطروحة دكتوراه من جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، قسم اللغة العربية .

١٣- الخليل ، سمير ، ٢٠١٧، الذاكرة السردية وتداعياتها في قصص المجر ، عندما يأخذ الزمن بالتمرد والإتساع والإرتداد ، جريدة الزمان ، ٢٢/ ١، https://www.azzaman.com/

١٤- ريكو ، بول ، ٢٠٠٩، الذاكرة والتاريخ والنسيان، ترجمة، د.جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، بيروت.

١٥- الزاهي ، فريد ، ١٩٩٩، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام ، (د،ط) ، أفريقيا الشرق ، المغرب .
١٦- سعدون ، نادية هناوي ، ٢٠١٠، سيميائية العنوان في السرد الروائي الثيمة والبنية ، مجلة كلية اللغات ، جامعة بغداد ، العدد ٢١ .
١٧- شاوشي ، أميرة ، ٢٠٢١، فينومينولوجيا الكتابة الجسد المتخيل عند فريد الزاهي مقترب تاويلي ، رسالة ماجستير من كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية ، جامعة العربي التبسي – تبسة .
١٨- شحيد ، جمال ، ٢٠١١، الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ردمك .
١٩- شعلان ، سناء ، ٢٠٠٦، الأسطورة في روايات نجيب محفوظ ، ط١ ، نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي ، قطر .
٢٠- الشمالي ، نضال ، ٢٠٠٦، الرواية والتاريخ ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية ، ط١ ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، الأردن .
٢١- صليبا ، جميل ، ١٩٨٢، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللباني ، بيروت .
٢٢- الضبع ، مصطفى ، ٢٠٢٣، سردية الذاكرة في كتابات الدكتور حمد الدخيل ، د. مصطفى الضبع ، ضمن كتاب عاشق التراث وفارس التحقيق حمد بن ناصر الدخيل ، الإعداد والترجمة : د. عبد الله بن عبد الرحمن الحيدري ، ط١ ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض .
٢٣- طلبة ، منى ، ٢٠٠٤، من يسترجع الأحلام من تأويلها ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، العدد ٦٣ .
٢٤- عبد الله ، محمد قاسم ، ٢٠٠٣، سيكولوجية الذاكرة ، قضايا واتجاهات حديثة ،( د،ط)، عالم المعرفة ، الكويت .
٢٥- عمر ، أحمد مختار ، ٢٠٠٨، معجم اللغة العربية المعاصر ، عالم الكتب ، القاهرة .
٢٦- الغانم ، أسامة ، ٢٠١٩، سرديات الجسد والايروتيكا ، ط٢ ، دار الحوار ، سوريا .
٢٧- فضل الله ، عمر ، ٢٠١٩ ، انفاس صُليحة ، ط١ ، دار البشير للثقافة والعلوم
٢٨- الكردي ، عبد الرحيم ، ٢٠٠٦، الراوي والنص القصصي ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة .
٢٩- نوادرية ، كريمة ، ٢٠١٧، حفريات الذاكرة الجمعية وآليات اشتغال الكتابة الروائية الجزائرية –واسينى الأعرج أنموذجاً–مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة بن مهيدي ، أم البواقي ، العدد٨ ، ديسمبر ، ٢٠١٧ .
٣٠- هالبواش ، موريس ، ٢٠١٦، الذاكرة الجمعية ، ط١ ، ترجمة : د. نسرين الزهر ، بيت المواطن للنشر والتوزيع ، دمشق ، الجمهورية العربية السورية .
٣١- واصل ، عصام حفظ الله حسين، ٢٠١١، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر ، ط١ ، دار غيداء ، عمان الأردن .
٣٢- ورنوك ، ميري ، ٢٠٠٧، الذاكرة في الفلسفة والأدب ، ترجمة : فلاح رحيم ،ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة .

**References:**

1- Al-Ghanim, Osama, 2019, Narratives of the Body and Erotica, 2nd ed., Dar Al-Hiwar, Syria.
2-Abdullah, Muhammad Qasim, 2003, Psychology of Memory: Modern Issues and Trends, (first edition), Alam Al-Ma'rifa, Kuwait.
3-Al-Dabaa, Mustafa, 2023, The Narrative of Memory in the Writings of Dr. Hamad Al-Dakhil, Dr. Mustafa Al-Dabaa, in the book Lover of Heritage and Knight of Investigation Hamad bin Nasser Al-Dakhil, edited and translated by Dr. Abdullah bin Abdul Rahman Al-Haidari, 1st ed., King Fahd National Library, Riyadh.
4-Al-Hayani, Faten Abdul-Jabbar Jawad, 2006, Memory as Text in Modern Iraqi Poetry - The Poetic Experience of the Pioneers, PhD thesis, University of Baghdad, College of Education for Women, Department of Arabic Language.
5- Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail, 1987, Al-Sahah, the Crown of Language and the Correct Arabic, Al-Jawhari (d. 393 AH), edited by Ahmed Abdel Ghafour Attar, 4th ed., Dar Al-Ilm Lil-Malayin - Beirut.
6- Al-Khalil, Samir, 2017, Narrative Memory and Its Implications in Hungarian Stories, When Time Takes Rebellion, Expansion, and Regression, Al-Zaman Newspaper, 22/1, https://www.azzaman.com/
7- Al-Kurdi, Abdul Rahim, 2006, The Narrator and the Narrative Text, 1st ed., Maktabat Al-Adab, Cairo.
8- Al-Shamali, Nidal, 2006, The Novel and History: A Study of the Levels of Discourse in the Arab Historical Novel, 1st ed., Modern World of Books, Irbid, Jordan.
9- Al-Zahi, Farid, 1999, The Body, the Image, and the Sacred in Islam, (n.d., ed.), East Africa, Morocco.
10- Bayrakdar, Farah, 2004, Creativity is Always Transient and Forever Renewed, Al-Adib Newspaper, Baghdad, Issue 38.

11- Benkrad, Saeed, 2012, Semiotics (Its Concepts and Applications), 3rd ed., Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, Syria.
12- Bou Azza, Maamar, and Ben Omar, Souarine, 2022, The Self and Openness to the Other in the Philosophy of Paul Ricoux, Adara Magazine - Algeria, Volume 10, Issue 1.
13- Buñuel, 1986, Visual Memory, Buñuel, translated by: Amin Saleh, Kalimat Magazine, Bahrain, Issue 7.
14- Chaouchi, Amira, 2021, Phenomenology of Writing: The Imaginary Body in Farid Al-Zahi's Interpretive Approach, Master's Thesis, College of Arts and Languages, Department of Arabic Language, University of Larbi Tebessi - Tebessa.
Fadlallah, Omar, 2019, Anfas Saliha, 1st ed., Dar Al-Basheer for Culture and Science. 15-
16- Halbwach, Maurice, 2016, Collective Memory, 1st ed., translated by Dr. Nisreen Al-Zaher, Beit Al-Muwatin Publishing and Distribution, Damascus, Syrian Arab Republic.
17- Hamdawi, Jamil, 2002, Semiotics and Titling, 2nd ed., Dar Al-Rif, Tatawuran, Kingdom of Morocco.
18- Hamdawi, Jamil, 2014, The Poetics of the Parallel Text: Thresholds of the Literary Text, Al-Aloka Network.
Hassan, Abbas, (n.d.), Comprehensive Grammar, 3rd ed., Dar Al-Maaref, Egypt. - 19
20- Jadour, Muhammad, 2006, Historical Discourse between the Extension of Memory and the Limits of Interpretation, Basmat Journal for Human Sciences, Faculty of Arts and Humanities, Morocco, Issue 1.
21- Joudah, Wasan Abdul-Sada, 2023, Ideology and the Narrator in the Novels of Omar Fadlallah, Al-Mustansiriya Journal of Literature, Vol. 47, No. 103.
22- Nawadria, Karima, 2017, Excavations of Collective Memory and the Mechanisms of Algerian Novel Writing - Wasini Al-A'raj as a Model - Journal of Humanities, University of Ben M'hidi, Oum El Bouaghi, Issue 8, December 2017.
23- Okan, Omar, 2001, Linguistics and Communication, Fikr wa Naqd Magazine, Fourth Year, February, Issue 36.
Omar, Ahmad Mukhtar, 2008, Dictionary of Contemporary Arabic, Alam Al-Kutub, Cairo. - 24
25- Rico, Paul, 2009, Memory, History, and Forgetting, translated by Dr. George Zenati, Dar Al-Kitab Al-Jadid, Beirut.
26- Saadoun, Nadia Hanawi, 2010, Semiotics of the Title in Narrative Fiction: Theme and Structure, Journal of the College of Languages, University of Baghdad, Issue 21.
Saliba, Jamil, 1982, The Philosophical Dictionary, Dar Al-Kitab Al-Lubnani, Beirut. -27
28- Shaalan, Sanaa, 2006, The Myth in the Novels of Naguib Mahfouz, 1st ed., Al-Jasra Cultural and Social Club, Qatar.
29- Shahid, Jamal, 2011, Memory in the Contemporary Arabic Novel, 1st ed., Arab Foundation for Studies and Publishing, ISBN 978-0-7 ...
30- Talaba, Mona, 2004, Who Retrieves Dreams from Their Interpretation, Fusul Magazine, Egyptian General Book Organization, Cairo, Issue 63.
31- Warnock, Mary, 2007, Memory in Philosophy and Literature, translated by: Falah Rahim, 1st ed., United New Book House.
32- Wasil, Issam Hafiz Allah Hussein, 2011, Heritage Intertextuality in Contemporary Arabic Poetry, 1st ed., Ghaida Publishing House, Amman, Jordan.